يستفاد من هذا الحديث من الناحية المسلكية وجوب الأدب مع الله عز وجل ويستفاد أنه متى آمن المصلي بذلك فإنه يحدث له خشوعاً وهيبة من الله عز وجل.

● **الحديث الرابع عشر: في إثبات العلو وصفات أخرى:**

وهو قوله ﷺ: «اللهُمَّ! رَبَّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَالأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ! رَبَّنا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ! فالِقَ الحَبِّ والنَّوَى! مُنْزِلَ التَّوْراةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ! أعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسي، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِناصِيَتِها. أَنْتَ الأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وأَنْتَ الآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وأَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وأَنْتَ الباطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وأَغْنِني مِنَ الفَقْرِ». رواه مسلم(١).

الشرح:

* هٰذا حديث عظيم، توسل النبي ﷺ إلى الله تعالى بربوبيته في قوله: «اللهم! رب السماوات السبع والأرض! ورب العرش العظيم! ربنا ورب كل شيء!»، وهٰذا من باب التعميم بعد التخصيص في قوله: «ورب كل شيء»، وهٰذا التعميم بعد التخصيص؛ لئلا يتوهم واهم اختصاص الحكم بما خصص به.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٩١]؛ حيث قال: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ

---

(١) مسلم (٢٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

شَيۡءٖ﴾؛ حتى لا يظن ظان أنه ليس رباً إلا لهٰذه البلدة.

* «**فالق الحب والنوى**»: حب الزروع. و«النوى»: نوى الغرس؛ فالأشجار التي تخرج: إما زروع أصلها الحب، وإما أشجار أصلها النوى؛ فما للأشجار يسمى نوى، وما للزروع يسمى حباً؛ ﴿فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ﴾ [الأنعام: ٦].

هٰذا الحب والنوى اليابس الذي لا ينمو ولا يزيد؛ يفلقه الرب عز وجل؛ أي: يفتحه حتى تخرج منه الأشجار والزروع، ولا يستطيع أحد أن يفعل ذٰلك؛ مهما بلغ الناس في القدرة؛ ما استطاعوا أن يفلقوا حبة واحدة أبداً! والنوى كذٰلك الذي كالحجر؛ لا ينمو، ولا يزيد؛ يفلقه الله عز وجل، وينفرج، ثم تكون منه الغريسة التي تنمو، ولا أحد يستطيع ذٰلك؛ إلا الذي فلقها سبحانه وتعالى.

ولما ذكر الآية الكونية العظيمة؛ ذكر الآيات الشرعية، وهي:

* قوله: «**منزل التوراة والإنجيل والقرآن**»: وهٰذه أعظم كتب أنزلها الله عز وجل، وبدأها على الترتيب الزمني: التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والفرقان على محمد ﷺ.

وفي هٰذا نص صريح على أن التوراة منزلة كما جاء في القرآن: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال في أول سورة آل عمران: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾ [آل عمران: ٣ ـ ٤].

* قوله: «أعوذ بك من شر نفسي»: أعتصم بالله من شر نفسي.

إذاً؛ في نفسك شر؛ ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

لكن النفس نفسان:

ـ نفس مطمئنة طيبة تأمر بالخير.

ـ ونفس شريرة أمارة بالسوء.

والنفس اللوامة؛ هل هي ثالثة، أو وصف للثنتين السابقتين؟!

فيه خلاف: بعضهم يقول: إنها نفس ثالثة. وبعضهم يقول: هي وصف للثنتين السابقتين؛ فالمطمئنة تلومك، والأمارة بالسوء تلومك؛ فيكون قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]؛ يشمل النفسين جميعاً.

فالمطمئنة تلومك على التقصير في الواجب؛ إذا أهملت واجباً؛ لامتك، وإذا فعلت محرماً؛ لامتك.

والأمارة بالسوء بالعكس؛ إذا فعلت الخير؛ لامتك، وتلومك إذا فوَّتَّ ما تأمرك به من السوء.

إذاً؛ صارت اللوَّامة على القول الراجح وصفاً للنفسين معاً.

وقوله هنا: «أعوذ بك من شر نفسي»: المراد بها النفس الأمارة بالسوء.

* قوله: «ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها»: الدابة: كل ما يدب على الأرض، حتى الذي يمشي على بطنه داخل في هٰذا الحديث؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ [النور: ٤٥]، وقوله: ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٧].

وإن كانت الدابة تطلق في العرف على ذوات الأربع، وفي عرف أخص تطلق على الحمار فقط، لٰكنها في مثل هٰذا الحديث يراد بها كل ما يدب على الأرض، وما يدب على الأرض فيه شرور، أما بعضه؛ فشر محض بالنسبة لذاته، وأما بعضه؛ ففيه خير وفيه شر، وحتى الذي فيه خير؛ لا يسلم من الشر.

* قوله: «أنت آخذ بناصيتها»: الناصية: مقدم الرأس، وإنما نص على الناصية؛ لأنه هو المقدم، وهو الذي يمسك به لقيادة البعير وشبهه. وقيل: خُصَّ ذٰلك؛ لأن المخ الذي فيه التصور والتلقي يكون في مقدمة الرأس، والعلم عند الله.

* قوله: «أنت الأول؛ فليس قبلك شيء»: هٰذا تفسير من النبي ﷺ لقوله: «الأول»، والأول من أسماء الله.

وقد ذكرنا عند تفسير الآية أن أهل الفلسفة يسمُّون الله: القديم، وذكرنا أن القديم ليس من أسماء الله الحسنى، وأنه لا يجوز أن يسمَّى به، لٰكن يجوز أن يخبر به عنه، وباب الخبر أوسع من باب التسمية؛ لأن القديم ليس من الأسماء الحسنى، والقديم فيه نقص؛ لأن القدم قد يكون قدماً نسبيّاً؛ ألم تر إلى قوله تعالى:

﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يسٓ: ٣٩]، والعرجون القديم حادث، لٰكنه قديم بالنسبة لما بعده.

* قوله: «**وأنت الظاهر؛ فليس فوقك شيء**»: الظاهر من الظهور، وهو العلو؛ كما قال تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ [الكهف: ٩٧]؛ ﴿ يَظْهَرُوهُ ﴾؛ أي: يعلوا عليه.

وأما من قال: الظاهر بآياته؛ فهٰذا خطأ؛ لأنه لا أحد أعلم بتفسير كلام الله من رسول الله ﷺ، وقد قال: «الظاهر؛ فليس فوقك شيء»؛ بل هو فوق كل شيء سبحانه.

* قوله: «**وأنت الباطن؛ فليس دونك شيء**»: المعنى: ليس دون الله شيء، لا أحد يدبر دون الله، ولا أحد ينفرد بشيء دون الله، ولا أحد يخفى على الله؛ كل شيء؛ فالله محيط به، ولهٰذا قال: «ليس دونك شيء»؛ يعني: لا يحول دونك شيء، ولا يمنع دونك شيء، ولا ينفع ذا الجد منك الجد... وهٰكذا.

* قوله: «**اقض عني الدَّين**»: الدَّين: ما يستحق على الإنسان من مال أو حق؛ اشتريت منك حاجة، ولم أنقدك الثمن؛ فهٰذا يسمى ديناً، وإن كان غير مؤجل.

* قوله: «**وأغنني من الفقر**»: الفقر: خلو ذات اليد، ولا شك أن الفقر فيه إيلام للنفس، والدَّين فيه ذل؛ المدين ذليل للدائن، والفقير معوز ربما يجره الفقر إلى أمر محرم.

ألم يأتكم نبأ الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار، فتوسل كل

واحد منهم بصالح عمله، وكان لأحدهم ابنة عم أعجبته، وكان يراودها عن نفسها، ولٰكنها كانت تأبى ذٰلك، فألمت بها سنة من السنين، واحتاجت، وجاءت إليه تطلب منه أن يعينها، فأبى عليها؛ إلا أن تمكِّنه من نفسها، ومن أجل ضرورتها؛ وافقت على هٰذا، فلما جلس منها مجلس الرجل من امرأته؛ قالت له: يا هٰذا! اتق الله! ولا تفض الخاتم إلا بحقه! وأثرت هٰذه الكلمة في الرجل عندما كانت نابعة من القلب، فقام عنها. قال: فقمت عنها وهي أحب الناس إليَّ. لٰكن ذكرته هٰذه الموعظة الكريمة؛ فأقلع[1].

فانظر إلى الفقر؛ فإن هٰذه المرأة أرادت أن تبيع عرضها بسبب الفقر.

إذاً؛ قول الرسول ﷺ: «أغنني من الفقر»: سأل النبي ﷺ ربه أن يغنيه من الفقر؛ لأن الفقر له آفات عظيمة.

*** وفي هٰذا الحديث أسماء وصفات:**

ـ فمن الأسماء: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن.

ـ ومن الصفات: الأولية والآخرية، وفيهما الإحاطة الزمانية. والظاهرية والباطنية، وفيهما الإحاطة المكانية. ومنها: العلو، وعموم ربوبيته، وتمام قدرته. ومنها: كمال رحمته وحكمته بإنزال الكتب؛ لتحكم بين الناس وتهديهم صراط الله.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣)؛ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

* **ومن غير الأسماء والصفات:** التوسل إلى الله بصفات الله، والتحذير من شر النفوس، وسؤال النبي ﷺ أن يقضي الله دينه ويغنيه من الفقر، وبيان ضعف الحديث الذي فيه سؤال النبي ﷺ أن يحييه ربه مسكيناً(١).

* **وفيه من الفوائد المسلكية:** التحذير من شر النفس، وتعظيم شأن الدين، وأن يحرص على تلافي الدَّين بقدر الإمكان، ويقتصد في ماله طلباً وتصرفاً؛ لأنه إذا اقتصد في ذٰلك؛ سلم غالباً من الفقر والدين.

* * *

● **الحديث الخامس عشر: في إثبات قرب الله تعالى:**

وهو قوله ﷺ لمَّا رفع الصحابة أصواتهم بالذكر: «أيُّها النَّاسُ! ٱرْبَعُوا عَلى أنفُسِكُمْ؛ فَإنَّكُمْ لا تَدْعُون أصَمَّ وَلا غائِباً؛ إنَّما تَدْعونَ سَميعاً بَصيراً؛ إنَّ الذي تَدْعونَهُ أقْرَبُ إلى أحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ

---

(١) لما رواه الترمذي (٢٣٥٢) عن أنس، وابن ماجه (٤١٢٦) عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٠٨) و«الإرواء» (٨٥٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وسواء صح لفظه أم لم يصح، فالمسكين المحمود هو المتواضع. «مجموع الفتاوى» (١٨/٣٢٦)، وقال الحافظ في «التلخيص الحبير» (٢٧٥): أسرف ابن الجوزي فذكر هذا الحديث في «الموضوعات»!

راحِلَتِهِ». متفق عليه[1].

الشرح:

* كان الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ؛ إذا علوا نشزاً؛ كبروا، وإذا نزلوا وادياً؛ سبحوا[2]؛ لأن الإنسان إذا ارتفع؛ قد يتعاظم في نفسه، ويرى أنه مرتفع عظيم؛ فناسب أن يقول: الله أكبر! تذكيراً لنفسه بكبرياء الله عز وجل، وأما إذا نزل؛ فهٰذا سفول ونزول، فيقول: سبحان الله! تذكيراً لنفسه بتنزه الله عن السفل. فكان الصحابة رضي الله عنهم يرفعون أصواتهم بالذكر جدّاً، فقال النبي عليه الصلاة والسلام:

* **«أيها الناس! اربعوا على أنفسكم»**؛ يعني: هوّنوا عليها.

* **«فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً»**؛ لا تدعون أصم لا يسمع، ولا غائباً لا يرى.

* **«إنما تدعون سميعاً»**؛ يسمع ذكركم، **«بصيراً»**؛ يرى أفعالكم.

* **«إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»**: عنق الراحلة للراكب قريب جدّاً؛ فالله تعالى أقرب من هٰذا إلى الإنسان، ومع هٰذا؛ فهو فوق سماواته على عرشه.

---

(١) رواه: البخاري (٦٦١٠)، ومسلم (٢٧٠٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤٠٢)؛ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه (١/ ٣٥٩).

ولا منافاة بين القرب والعلو؛ لأن الشيء قد يكون بعيداً قريباً؛ هٰذا بالنسبة للمخلوق؛ فكيف بالخالق؟! فالرب عز وجل قريب مع علوه، أقرب إلى أحدنا من عنق راحلته.

*** هٰذا الحديث فيه فوائد:**

ـ فيه شيء من الصفات السلبية: نفي كونه أصم أو غائباً؛ لكمال سمعه ولكمال بصره وعلمه وقربه.

ـ وفيه أيضاً أنه ينبغي للإنسان ألا يشقَّ على نفسه في العبادة؛ لأن الإنسان إذا شق على نفسه؛ تعبت النفس وملت، وربما يتأثر البدن، ولهٰذا قال النبي ﷺ: «اكلفوا من العمل ما تطيقون؛ فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا»[(١)].

فلا ينبغي للإنسان أن يشق على نفسه، بل ينبغي أن يسوس نفسه: إذا وجد منها نشاطاً في العبادة؛ عمل واستغلَّ النشاط، وإذا رأى فتوراً في غير الواجبات، أو أنها تميل إلى شيء آخر من العبادات؛ وجهها إليه.

حتى إن الرسول ﷺ أمر من نعس في صلاته أن ينام ويدع الصلاة؛ قال: «فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه»[(٢)].

ولهٰذا كان النبي ﷺ يصوم حتى يقول القائل: لا يفطر،

---

(١) رواه: البخاري (١١٥١، ١٩٧٠)، ومسلم (٧٨٢)؛ عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه: البخاري (٢١٢)، ومسلم (٧٨٦)؛ عن عائشة رضي الله عنها.

ويفطر حتى يقول القائل: لا يصوم[1]، وكذلك في القيام والنوم.

ـ وفيه أيضاً: أن الله قريب، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

*** ونستفيد من هٰذا الحديث من الناحية المسلكية:**

ـ أنه لا ينبغي لنا أن نشق على أنفسنا بالعبادات، وأن يكون سيرنا إلى الله وسطاً؛ لا تفريط ولا إفراط.

ـ وفيه أيضاً: الحذر من الله؛ لأنه سميع وقريب وبصير، فنبتعد عن مخالفته.

ـ وفيه أيضاً من الناحية الحكمية: جواز تشبيه الغائب بالحاضر للإيضاح؛ حيث قال: «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته».

ـ وفيه أيضاً أنه ينبغي أن يراعي الإنسان في المعاني ما كان أقرب إلى الفهم؛ لأن هٰؤلاء مسافرون، وكل منهم على راحلته، وإذا ضرب المثل بما هو قريب؛ فلا أحسن من هٰذا المثل الذي ذكره النبي عليه الصلاة والسلام.

* * *

---

(١) كما جاء ذلك في «صحيح البخاري» (١٩٧٢، ١٩٧٣)، ومسلم (١١٥٧)؛ من حديث ابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهم. أن رسول الله ﷺ كان يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم».

● **الحديث السادس عشر: إثبات رؤية المؤمنين لربهم:**

وهو ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، لا تُضامُّونَ في رُؤْيَتِهِ؛ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ لا تُغْلَبُوا على صَلاةٍ قَبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُروبِها؛ فَافْعَلوا». متفق عليه[1].

الشرح:

* قوله: «**إنكم سترون ربكم**»: السين للتحقيق، وتخلص الفعل المضارع إلى الاستقبال بعد أن كان صالحاً للحال والاستقبال؛ كما أن (لم) تخلصه للماضي، والخطاب للمؤمنين.

* قوله: «**كما ترون القمر**»: هٰذه رؤية بصرية؛ لأن رؤيتنا للقمر بصرية، وهنا شبه الرؤية بالرؤية؛ فتكون رؤية بصرية.

* وقوله: «**كما ترون**»: (ما) هٰذه مصدرية، فيحوَّل الفعل بعدها إلى مصدر، ويكون التقدير: كرؤيتكم القمر؛ فالتشبيه حينئذ للرؤية بالرؤية، وليس للمرئي بالمرئي، لأن الله تعالى ليس كمثله شيء.

والنبي عليه الصلاة والسلام يقرب المعاني أحياناً بذكر الأمثلة الحسية الواقعية؛ كما سأله أبو رزين العقيلي لقيط بن عامر؛ قال: يا رسول الله! أكلنا يرى ربه يوم القيامة، وما آية ذٰلك في خلقه؟ فقال النبي ﷺ: «كلكم ينظر إلى القمر مخلياً به». قال: بلى. قال

---

(١) رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)؛ عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

النبي ﷺ: «فالله أعظم»[١].

وقوله: «مُخلياً به»؛ يعني: خالياً به.

وكما ثبت به الحديث في «صحيح مسلم»[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إن الله يقول: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين؛ فإذا قال: الحمد لله رب العالمين. قال: حمدني عبدي».

وهٰذا يشمل كل مصلٍّ، ومن المعلوم أنه قد يتفق المصلون في هٰذه الآية جميعاً، فيقول الله لكل واحد: «حمدني عبدي»؛ في آن واحد.

* قال: «**كما ترون القمر ليلة البدر**»: أي: ليلة إبداره، وهي الليلة الرابعة عشرة والخامسة عشرة والثالثة عشرة أحياناً، والوسط الرابعة عشرة؛ كما قال ابن القيم: كالبدر ليل الست بعد ثمان.

* قوله: «**لا تضامُّون في رؤيته**»، وفي لفظ: «لا تضامُون»، وفي لفظ: «لا تضارون»:

ـ «لا تُضامون»: بضم التاء وتخفيف الميم؛ أي: لا

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ١١)، وأبو داود (٤٧٣١)، والحاكم (٤/ ٥٦٠)، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه ابن خزيمة في «التوحيد» (٤٣٨)، والآجري في «الشريعة» (٢٦٢)، وابن أبي عاصم في كتاب «السنة» (١/ ٢٠٠)، وقال الألباني في «ظلال الجنة»: حديث حسن، رجاله رجال مسلم غير وكيع بن عدس ويقال: حدس.

(٢) رواه مسلم (٣٩٥).

يلحقكم ضيم، والضيم الظلم، والمعنى: لا يحجب بعضكم بعضاً عن الرؤية فيظلمه بمنعه إياه. لأن كل واحد يراه.

ـ «لا تضامُّون»: بتشديد الميم وفتح التاء وضمها: يعني: لا ينضم بعضكم إلى بعض في رؤيته؛ لأن الشيء إذا كان خفيّاً؛ ينضم الواحد إلى صاحبه ليريه إياه.

ـ أما «لا تضارُون» أو «لا تضارُّون»؛ فالمعنى: لا يلحقكم ضرر؛ لأن كل إنسان يراه سبحانه وتعالى وهو في غاية ما يكون من الطمأنينة والراحة.

* قوله: «**فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها؛ فافعلوا**»: الصلاة قبل طلوع الشمس هي الفجر، وقبل غروبها هي العصر.

والعصر أفضل من الفجر؛ لأنها الصلاة الوسطى التي خصها الله بالأمر بالمحافظة عليها بعد التعميم، والفجر أفضل من العصر من وجه؛ لأنها الصلاة المشهودة؛ كما قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وجاء في الحديث الصحيح: «من صلى البردين؛ دخل الجنة»[١]، وهما: الفجر والعصر.

* **في هٰذا الحديث من صفات الله**: إثبات أن الله يرى، وقد سبق[٢] شرح هٰذه الصفة عند ذكر الآيات الدالة عليها، وهي أربع

(١) رواه: البخاري (٥٧٤)، ومسلم (٦٣٥)؛ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
(٢) (١/٤٤٨ ـ ٤٥٥).

آيات، والأحاديث في هٰذا متواترة عن النبي ﷺ؛ فثبوتها قطعي، ودلالتها قطعية.

ولهٰذا ذهب بعض العلماء إلى أن من أنكر رؤية الله تعالى؛ فهو كافر مرتد[1]، وأن الواجب على كل مؤمن أن يقر بذٰلك. قال: وإنما كفرناه؛ لأن الأدلة قطعية الثبوت وقطعية الدلالة، ولا يمكن لأحد أن يقول: إن قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «إنكم سترون ربكم»؛ إنه ليس قطعي الدلالة؛ إذ ليس هناك شيء أشد قطعاً من مثل هٰذا التركيب.

لو كان الحديث: «إنكم ترون ربكم»: لربما تحتمل التأويل، وأنه عبر عن العلم اليقيني بالرؤية البصرية، ولٰكنه صرح بأنا نراه كما نرى القمر، وهو حسي.

وسبق لنا أن أهل التعطيل يؤولون هٰذه الأحاديث ويفسرون الرؤية برؤية العلم، وسبق بطلان قولهم[2].

* قوله: «**إلى أمثال هٰذه الأحاديث...**» إلخ؛ يعني: انظر إلى أمثال هٰذه الأحاديث التي يخبر بها النبي ﷺ عن ربه؛ فما كان مثلها ثبوتاً ودلالة؛ فحكمه حكمها.

* قوله: «**الفرقة الناجية**»: «الفرقة»؛ أي: الطائفة.

* «**الناجية**»: التي نجت في الدنيا من البدع، وفي الآخرة من

---

(١) انظر «حادي الأرواح» لابن القيم (ص٢٤٢)، فقد نقل كلام الإمام أحمد وغيره؛ في أن من أنكر رؤية الله تعالى فهو كافر.

(٢) (١/٤٥٦ ـ ٤٥٨).

النار.

* «**أهل السنة والجماعة**»؛ أي: الذين أخذوا بالسنة واجتمعوا عليها.

* «**يؤمنون بذلك**»؛ أي: بما أخبر به الرسول ﷺ.

* «**كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه**»: لأن ما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام يجب علينا أن نؤمن به كما يجب علينا أن نؤمن بما أخبر الله به في كتابه؛ إلا أنه يختلف عن القرآن في الثبوت؛ فإن لنا نظرين بالنسبة لما جاءت به السنة:

النظر الأول: في ثبوته.

والنظر الثاني: في دلالته.

أما ما في القرآن؛ فلنا نظر واحد، وهو النظر في الدلالة.

وقد سبق[١] لنا بيان الأدلة الدالة على وجوب قبول ما أخبر به النبي ﷺ.

* قال: «**من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل**»: سبق شرح هذا[٢].

* * *

(١) (٢/١١).

(٢) (٢/٨٦).

فصل
مكانة أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة واتصافهم بالوسطية

● قال المؤلف رحمه الله: «**بَلْ هُمُ الوَسَطُ في فِرَقِ الأمَّةِ؛ كَما أنَّ الأمَّةَ هِيَ الوَسَطُ في الأمَمِ**».

الشرح:

* قوله: «**الأمة هي الوسط بين الأمم**»؛ يعني: الأمم السابقة، وذلك من عدة أوجه:

ـ ففي حق الله تعالى: كانت اليهود تصف الله تعالى بالنقائص، فتلحقه بالمخلوق. وكانت النصارى تلحق المخلوق الناقص بالرب الكامل. أما هذه الأمة؛ فلم تصف الرب بالنقائص، ولم تلحق المخلوق به.

ـ وفي حق الأنبياء؛ كذبت اليهود عيسى بن مريم، وكفرت به. وغلت النصارى فيه، حتى جعلته إلهاً. أما هذه الأمة؛ فآمنت

به بدون غلو، وقالت: هو عبد الله ورسوله.

ــ وفي العبادات؛ النصارى يدينون لله عز وجل بعدم الطهارة؛ بمعنى أنهم لا يتطهرون من الخبث؛ يبول الواحد منهم، ويصيب البول ثيابه، ويقوم، ويصلي في الكنيسة!! واليهود بالعكس؛ إذا أصابتهم النجاسة؛ فإنهم يقرضونها من الثوب؛ فلا يطهرها الماء عندهم؛ حتى إنهم يبتعدون عن الحائض لا يؤاكلونها ولا يجتمعون بها. أما هٰذه الأمة؛ فهم وسط؛ فيقولون: لا هٰذا ولا هٰذا؛ لا يُشَق الثوب، ولا يُصَلى بالنجاسة، بل يغسل غسلاً حتى تزول النجاسة منه، ويصلى به، ولا يبتعدون عن الحائض؛ بل يؤاكلونها ويباشرها زوجها في غير الجماع.

ــ وكذٰلك أيضاً في باب المحرَّمات من المآكل والمشارب؛ النصارى استحلوا الخبائث وجميع المحرمات، واليهود حرِّم عليهم كل ذي ظفر؛ كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، أما هٰذه الأمة؛ فهم وسط؛ أحلت لهم الطيبات، وحرمت عليهم الخبائث.

ــ وفي القصاص؛ القصاص فرض على اليهود، والتسامح عن القصاص فرض على النصارى، أما هٰذه الأمة؛ فهي مخيرة بين القصاص والدية والعفو مجاناً.

فكانت الأمة الإسلامية وسطاً بين الأمم بين الغلو والتقصير.

فأهل السنة والجماعة بين فرق الأمة كالأمة بين الديانات الأخرى؛ يعني: أنهم وسط.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله أصولاً خمسة كان أهل السنة والجماعة فيها وسطاً بين فرق الأمة:

* * *

● **الأصل الأول: باب الأسماء والصفات:**

قال المؤلف: «**فَهُمْ وَسَطٌ في بابِ صِفاتِ اللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى بَيْنَ أهْلِ التَّعْطيلِ الجَهْمِيَّةِ وَأهْلِ التَّمْثيلِ المُشَبِّهَةِ**».

الشرح:

* هٰذان طرفان متطرفان: أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة.

ـ فالجهمية: ينكرون صفات الله عز وجل، بل غلاتهم ينكرون الأسماء ويقولون: لا يجوز أن نثبت لله اسماً ولاصفةً؛ لأنك إذا أثبت له اسماً؛ شبهته بالمسميات، أو صفة؛ شبهته بالموصوفات!! إذاً؛ لا نثبت اسماً ولا صفة!! وما أضاف الله إلى نفسه من الأسماء؛ فهو من باب المجاز، وليس من باب التسمي بهٰذه الأسماء!!

ـ والمعتزلة ينكرون الصفات ويثبتون الأسماء.

ـ والأشعرية يثبتون الأسماء وسبعاً من الصفات.

* كل هٰؤلاء يشملهم اسم التعطيل، لٰكن بعضهم معطل تعطيلاً كاملاً؛ كالجهمية، وبعضهم تعطيلاً نسبيّاً؛ مثل المعتزلة والأشاعرة.

* وأما أهل التمثيل المشبهة؛ فيثبتون لله الصفات، ويقولون: يجب أن نثبت لله الصفات؛ لأنه أثبتها لنفسه، لٰكن يقولون: إنها مثل صفات المخلوقين.

فهٰؤلاء غلوا في الإثبات، وأهل التعطيل غلوا في التنزيه.

فهٰؤلاء قالوا: يجب عليك أن تثبت لله وجهاً، وهٰذا الوجه مثل وجه أحسن واحد من بني آدم. قالوا: لأن الله خاطبنا بما نعقل ونفهم؛ قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ولا نعقل ونفهم من الوجه إلا ما نشاهد، وأحسن ما نشاهد الإنسان.

فهو على زعمهم ـ والعياذ بالله ـ على مثل أحسن واحد من الشباب الإنساني!!

ويدَّعون أن هٰذا هو المعقول !!

* وأما أهل السنة والجماعة؛ فقالوا: نحن نأخذ بالحق الذي مع الجانبين؛ فنأخذ بالحق في باب التنزيه؛ فلا نمثل، ونأخذ بالحق في باب الإثبات؛ فلا نعطل؛ بل إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل؛ نحن نثبت ولٰكن بدون تمثيل، فنأخذ بالأدلة من هنا ومن هنا.

والخلاصة: هم وسط في باب الصفات بين طائفتين متطرفتين: طائفة غلت في التنزيه والنفي، وهم أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم، وطائفة غلت في الإثبات، وهم الممثلة.

وأهل السنة والجماعة يقولون: لا نغلوا في الإثبات ولا في النفي، ونثبت بدون تمثيل؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

* * *

● **الأصل الثاني: أفعال الله:**

قال المؤلف: «**وَهُمْ وَسَطٌ في بابِ أَفْعالِ اللهِ بَيْنَ الجَبْرِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ**».

الشرح:

* في باب القدر انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام:

ـ قسم آمنوا بقدر الله عز وجل وغلوا في إثباته، حتى سلبوا الإنسان قدرته واختياره، وقالوا: إن الله فاعل كل شيء، وليس للعبد اختيار ولا قدرة، وإنما يفعل الفعل مجبراً عليه، بل إن بعضهم ادعى أن فعل العبد هو فعل الله، ولهذا دخل من بابهم أهل الاتحاد والحلول، وهؤلاء هم الجبرية.

ـ والقسم الثاني قالوا: إن العبد مستقل بفعله، وليس لله فيه مشيئة ولا تقدير، حتى غلا بعضهم، فقال: إن الله لا يعلم فعل العبد إلا إذا فعله، أما قبل؛ فلا يعلم عنه شيئاً، وهؤلاء هم